

ذخائر العرب

٢٥

الموازنة

بين شعير أبي تمام والبُحتري

لأبي الفاسم الحسن بن بشر الأمدى

— ٣٧٠ هـ

تحقيق

السيد أحمد صقر

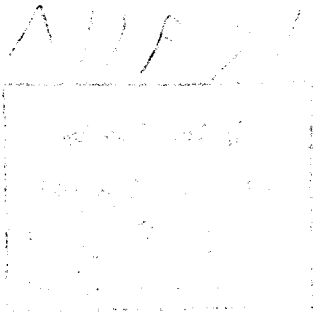
١

الطبعة الرابعة



دار المعارف

الموازنة



الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله سبحانه وتعالى إذ قدر لي أن أكون أول طابع لكتاب الموازنة بين
الطائيين ، الذي ألفه أبو القاسم : الحسن بن بشر الآمدي المتوفى ، سنة سبعين
وثلاثمائة .

ولست أرتاب في أن قول هذا سيقع من نفس القارئ وعقله موقع العجب
والإنكار . ولكني على ثقة من أن عجبه سيزول ، وإنكاره سيحول إذا
ما مضى في قراءة هذه السطور . وإنما قلت ذلك وأنا أعلم أني قد سبقت إليه ، وأنه
قد طبع عدة مرات أولاها في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٢٨٧ هـ عن
نسخة خطية كتبها عبد الكريم بن أحمد بن إدريس الصفدي ، في شهر صفر
من سنة ١١٢٩ هـ . وكانت هذه الطبعة هي الأصل لكل الطبعات التي
صدرت بعدها .

وثانيها في مطبعة جريدة الإقبال ببغروت سنة ١٣٣٢ هـ .

وثالثها في مطبعة محمد صبيح وهي غير مؤرخة .

ورابعها في مطبعة حجازي بالقاهرة سنة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م .

ثم أعيد طبعها سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

وجميع هذه الطبعات ناقصة ومملوءة بالتحريف . ومن عجب أنها تشتمل
على نصوص تشير إلى ذلك النقص .

ألم يقل الآمدي : « وأنا أبتدئ بذكر مساوي هذين الشاعرين لأختم بذكر
محاسنهما ، وأذكر طرفاً من سرقات أبي تمام وإحالاته ، وغلطه ، وساقط شعره ،
ومساوي البحري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام ، وغير ذلك من غلط في
بعض معانيه . ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية
وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى ؛ فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك . ثم
أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فنجوده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد

باباً لما وقع في شعريهما من التشبيه ، وباباً للأمثال أختم بهما الرسالة ، ثم أتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما ، وأجعله مؤلفاً على حروف المعجم ؛ ليقترب تناوله . . . » .

وكل من يقرأ كلام الآمدي لابد أن يقول لنفسه : وأين باب التشبيه ، وباب الأمثال اللذان قال الآمدي : إنه سيختتم بهما كتابه ؟ وأين المختارات من شعر الشاعرين المجردة عن الموازنة ، والمؤلفة على حروف المعجم ؟ إن هذه الأبواب الثلاثة لا وجود لها في النسخ المطبوعة . ومعنى ذلك بدهة أن الكتاب ناقص تعوزه الموضوعات التي لم ينشر حرف منها من قبل . على أن بعض تلك الزيادة موجودة في النسخة الخطية الوحيدة الموجودة بدار الكتب المصرية . وتبتدئ الزيادة في طبعتنا هذه من صفحة ٤٥٨ ، وهي تشمل على سبعة أبواب ، هي :

محو الرياح للديار .

ماقالاه في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها أيضاً .

باب آخر في وصف الديار وساكنيها .

الدعاء للديار بالسقيا والخصب والنبات .

مايخلف الظاعنين في الديار من الوحش وغيرها .

ماقالاه في الوقوف على الديار وفي تعنيف الأصحاب لإياها على ذلك .

ما جاء عنهما في ترك البكاء على الديار والنهي عنه .

وقد ملأت هذه الأبواب في هذه الطبعة ثمانين صفحة ، غير الزيادات التي جاءت في ثانيا القسم المطبوع قبلها .

والزيادة ليست مقصورة على هذه الأبواب فقط . ولكنها زيادة عظيمة تستغرق الجزء الثاني والثالث من طبعتنا هذه .

ومن أجل ذلك رأيت أن أنقل بعضها ، ليعلم القارئ أي خير زاده عنه الطابعون للكتاب من قبل ؟

أما الزيادة التي تستغرق الجزء الثاني ، فهذه عناوينها :

ذكر الفراق والوداع والرحل عن الديار والبكاء على الظاعنين .
ما قالاه في البكاء على الظاعنين .
ما لأبي تمام في البكاء على النساء المفارقات .
ومن ابتداءاتهما من باب الفراق في معان شتى .
البكاء على الظاعنين .
بكاء النساء المفارقات .
ما ذكره من استيلاء النوى على الأحباب المفارقين .
ذكر الأنفاس والحرق والزفرات عند الفراق .
زوال الصبر وقلة التجلد .
ما قالاه في قتل الفراق للمفارق وسفك دمه .
ما قالاه في الغزل من أوصاف النساء ونعوتهن وشدة الشوق والتذكر والوجد والغرام .

ذكر ابتداءاتهما بتشبيه النساء بالظباء والبقر .
ابتداءاتهما بذكر الثغور .
ابتداءاتهما بذكر البكاء والدموع .
ابتداءاتهما بذكر السهر وطول الليل .
باب آخر في الابتداءات .
مما افتتحه البحري بالمهجر .
ومما جاء في ابتداءاته من ذكر العيون .
ومن ابتداءات البحري في التشوق .
ومن ابتداءات البحري في معان شتى وهي كثيرة .
ذكر ما قالاه في الجمال والبهجة وحسن الوجوه .
ما قالاه في وصف الثغور .
ما قالاه في وصف القلود والخصور والأخصاف ونقل الأرداف وحسن المشى .

ما قالاه في شدة الحب والوجد والتشوق والغرام والحزن وانتجاز المواعيد ،
وإخلاصها ، ونحو ذلك . وفي الشوق والصبابة .
ما قيل في اثناف المحبين .

باب في نوح الحمام .
باب في وصفهما للأيام التي خلت ، والأزمان التي حمداها ، والتذكر لها ،
والأسى عليها .

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من هذا الباب .
ما جاء عنهما في طروق الخيال .
ما قالاه في الشيب والشباب .

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب .
كره النساء للمشيب .
نزول الشيب قبل حينه .

البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا .
الاعتذار من الشيب .
مدح الشيب والتعزى عنه .

ذكر الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال .

● باب في ذكر الزمان ، وذكر ظلمه واعوجاجه ، وتعذر الرزق على ذوى
الحزم والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز . وفي التعزى والصبر والقناعة . وما
قالاه في ضد ذلك من بعد الهمة ، والنهوض في طلب الرزق ، والسير على الإبل ،
وقطع الفيافي . وفي مواعظ وآداب .

ماقالاه من هذه المعاني في وسط الكلام .
في المواعظ والآداب .
في الصبر والقناعة .

ذم ذوى الغنى على البخل ، وذكر مساعدة الدهر لذوى الجهل ، وتحامله على
أهل الفضل والعقل .
ماقالاه في طلب الرزق والنهوض إليه .

وما ذكرنا فيه سرى الإبل :
باب الشحوب والتغير من الأسفار .
• الأبواب التي خرجا فيها من النسب إلى المديح .
وجه آخر من الخروج ، وهو خروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء .
وجه آخر من خروجهما إلى المدح ، وهو وصف الرياح ، وتشبيه أخلاق
الممدوح بها .

وجه آخر من خروجهما إلى المدح .

• باب المديح .

أول ما بدأ به من مدائحهما :

ذكر السؤدد والمجد وعلو القدر .

ثم ما يخص الخلفاء من ذلك دون غيرهم :

من ذكر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها .

ذكر الملك والدولة .

وذكر ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون من سواهم :

من ذلك ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم .

وذكر الآلة التي كانت للنبي عليه السلام فصارت إليهم .

وذكر الآثار .

وذكر علو القدر ، وعظم الفضل .

وذكر تأييد الدين وتقوية أمره .

وذكر الرأفة والرحمة .

وذكر الجلال والجمال والبهاء والجهارة والهيبة .

وذكر ما ينبغي أن يمدح به الخلفاء من الجود والكرم .

وذكر ما ينبغي أن يمدحوا به من الشجاعة والبأس .

* * *

وبانتهاء هذه الموضوعات ، تنهى مخطوطة دار الكتب المصرية .

وأما موضوعات الجزء الثالث التى جاءت فى النسخ الأخرى ، فإنها تكاد تكون ضعف موضوعات الجزء الثانى . وكنت على نية سردها ، لولا أنى رأيت المقام قد طال ، وخشيت على القارئ الملل ؛ فرأيت أن أشير إلى بعض الموضوعات الهامة التى تناوّلها الآمدى بالدرس والموازنة ؛ ليعلم القارئ من علمها ، ويتصور مقدار عظمها .

فمن تلك الموضوعات :

كتاب الجود ، والوصف ، والفخر ، والعتاب ، والوعيد ، والهجر ، والاعتذار ، والشراب ، ومعاطاة الندمان ، ووصف الغلمان ، والتوجع من العلل والنكبات ، ووصف قصائد هما والبأس والتجدة ، والمرأى .

وكل باب من هذه الأبواب يحتوى على عدة فصول ترعك كثرتها إذا ما ذكرت لك تفصيل بعضها وحسبى . أن أقتصر على التمثيل بثلاثة أبواب : وهى باب الجود ، وباب المرأى ، وباب البأس والتجدة .

أما باب الجود فقد قال الآمدى فى صدره : « هذا باب يعول عليه الشعراء فى المديح ؛ لأن الجود قد يكون فى الملك والسوقة والشرىف والدون .

وأنا الآن أميز فى هذا الكتاب أنواع الجود والكرم ، وأنتزع من القصائد الأبيات المتجانسة ، وأبويبها أبواباً ، وأوازن بينها ليصح القول ويلوح التفضيل .

فأبتدئ بما قالاه فى الرجاء والتأمل ، وفى الوعد وإنجازه ، وفى الابتداء بالعطاء وفى البشر عند السؤال ، وفى الإكثار من العطاء ، والقصد والإسراف ، وتعجيل العطاء ، ومتابعة العطاء ، وتشبيه جود الجواد بالسحاب والغيث والأنواء وبالبحر ، وفى خبط الجواد بنائله من غير تمييز ، وفى عذل الجواد على الجود ، وفى تعجرف الجواد على ماله حتى يتلفه ، ودفع جود الجواد وعطاياه لنواب الدهر ، وإعطاء الجواد حتى لا يجد من يعطيه . وفى التناذ الجواد بالجود ، وإغناء الجواد للسائلين حتى يكونوا مسئولين ، واكتساب الشرف بالعطاء ، وفى اعتذار الجواد بهد العطاء والاعتذار له ، وفى إخفاء الجواد لنائله ، وفى شفاعاة الجواد إلى غيره مما يجوز به ، وفيما استن

الكريم للناس من الكرم حتى اقتلوا به ، وفي نوادر من باب الجود ، وفي الاعتداد
بنعم المملوحين ، وفي الشكر والثناء .

وأما باب المراثي فقد بدأه الآمدى بقوله :

« قد جرت العادة في كل باب أن تعتبر فيه الابتداءات ، فيجب أن أقدم
ابتداءات هذا الباب . قال أبو تمام :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفيض ماؤها علر
قد عابه قوم من متقدمي الشيوخ بهذا ، وقالوا : قوله : ” كذا “ إشارة إلى
مجهول غير معروف ، وقالوا : كان ينبغي أن يقول كما قال البحرى :

انظر إلى العلياء كيف تضام ومآثم الأحساب كيف تقام
فأوضح المعنى بقوله : ” ومآثم الأحساب كيف تقام “ . وليس هذا العجز
بمبين عن معنى صدره كما ذكروا ، وإنما هو قسم منسوق على قسم آخر له معنى
غير معناه . فقله : ” انظر إلى العلياء كيف تضام “ مثل قول أبي تمام :
” كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر “ وإنما نظر كل واحد منهما إلى الجيوب
تشقق ، والمستور تهتك ، والأعلام تمزق ، والرماح تكسر . فإن مثل هذا يفعل
عند هلاك السادة من الأمراء وغيرهم ، والحيل إنما تعقر عند قبورهم ، وأشياء هذا .
فلما عاين هذان الشاعران من الأمر ما عايناه ، قال هذا : ” فليجل الخطب
وليفدح الأمر “ وقال ذاك ” انظر إلى العلياء كيف تضام “ . ونظر البحرى
إلى كثرة النساء وعظم أقدارهن وانها كهن وما يفعلن بأنفسهن ، فآثم البيت بأن قال :
” ومآثم الأحساب كيف تقام “ لأن المآثم هي اجتماع النساء في الفجائع ومساكنة
بعضهن لبعض . فما على أحدهما فيما قاله طعن .

ولما عنيت بإيراد هذا النص لأهميته في توثيق الكتاب ، ولأن الآمدى
قد أشار إليه في القسم المطبوع منه بقوله ص ٣٩١ : « وذكر أبو عبيد الله : محمد بن
داود بن الجراح في كتابه ، أن مما عيب من ابتدئات الطائي قوله : كذا فليجل
الخطب وأما قوله : ” كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر “ فليس بمعيب
عندى ، وقد ذكرته في ابتدئات المراثي وأخبرت بمعناه .

وكان هذا القول خليقاً بأن يلفت نظر الطابعين إلى خلو طبعتهم من باب المرائي .
وبعد أن فرغ الآمدى من الموازنة بين الابتداءات فى المرائي ، وازن بينهما فى
أنواع تلك المعانى ، وهى :

عموم الفجيرة وجلالة الرزة .

البكاء على الفقيد .

زوال الصبر على المفجوع

ذم الدهر والأيام لاخترامهما الفقيد .

تولى العيش وذهابه وتغير الأشياء لفقده .

تخطى المنايا إلى الأشرف فالأشرف ، والأفضل فالأفضل .

ذكر السؤدد والمجد والعلا وبكائها على الميت وقبحها بعده .

ذكر انقطاع الأمل والرجاء من الطالبين وقعودهم عن الطلب .

ذكر سقوط الحزن وخفة المصائب بعد الفقيد .

ذكر شماتة الأعداء والحساد وتهديد القاتلين .

ذكر صبر المقتول واختياره القتل على الفرار .

ذكر تحقير القاتل وتهوين أمره .

ذكر القبور والدعاء لها بالسقيا وتشجيع الميت ، وذكر النعش والكفن .

الذكر الجميل وحسن الحديث بعد الفقيد .

ذكر تعديل مناقب الميت بعده .

ذكر من يخلف الميت ويسد مسده .

مرثية الصغار .

* * *

وأما « باب البأس والنجدة » فيشتمل على الفصول الآتية :

ما قالاه فى وصف الجيش وكثافته .

ما قالاه فى الرأى والتدبير فى الحرب والمكر والخديعة وإمضاء العزم .

ما قالاه فى وصف الحرب .

ذكر وصف رجال الحرب .
ذكر تشبيه الأبطال بالسباع .
ما قالاه في وصف الدروع .
ذكر وصف القوانس والبيض .
ذكر وصف السرايات .
ذكر وصف الخيل في الحرب .
ذكر المسير إلى أرض العدو والتزول عليها ، والظفر والفتوح .
ذكر من انهزم ونجا بمحاشته ، ومن أسر .
ذكر الصلب على الجذوع وحمل الرؤوس .
ذكر الحرب في البحر .
ما قالاه في حرب ذوى الأرحام ، والحض على صلحهم والصفح عنهم .
ما قالاه في أوصاف الخيل .

* * *

وفي هذه الأمثلة ، ما يظهر على ضخامة القسم الذى لم يسبق نشره من
كتاب الموازنة .

* * *

ومن أجل ذلك كله ، قلت في صدر كلامي: إني أحمد الله إذ قدر لي أن
أكون أول طابع لكتاب الموازنة ، وأظن أن عجب القارئ من قوى ذلك وإنكاره
له قد زال الآن .

* * *

والحق الذى لا مرية فيه أن كتاب الموازنة خليق بإعجاب القراء ، جدير
بإكبارهم . ولا أحسب أن أحداً منهم بعد قراءته له في هذه الطبعة سينكر على
قولى : إن الآمدى أعظم نقاد الأدب العربى ، وإمامهم الذى لا يضارع ولا
يجارى . وإنه في تاريخ النقد أمة وحده في دقة منهجه ، وأصالة رأيه ، وعمق فكره

وحسن عرضه ، ونصاعة أسلوبه ، وشدة إخلاصه للمهمة الشاقة التي جرد عزمه لها ، وانتدب نفسه للنهوض بها ، وصبرها على تحمل أعبائها ، حتى خرج الكتاب من بين يديه مستحصداً قوياً ، واثقاً بالفرض الذي أراغ إليه ، جامعاً لأشتات المعاني ، ملماً بأطراف الأحاديث التي يتطلبها مثل هذا البحث الكبير ؛ كما سنين ذلك عند تحليل الكتاب ، وترجمة صاحبه ، ووصف مخطوطاته في مقدمة الجزء الأخير إن شاء الله .

• • •

ولاريب في أن ظهور كتاب الموازنة في هذه الطبعة الكاملة سيرفع من قدر الأملى ، وينبه من ذكره وما كان خاملاً ، ولكن بعض الذكر أنه من بعض ، كما يقول الشاعر القديم . وسيكون ظهورها كذلك فتحاً مبنياً ، ومصدراً خصيباً للأبحاث الجديدة في النقد الأدبي ، وستكشف أضواءه القوية مسارب الهم ، ومزالق الخطأ فيها كتبه المحدثون عنه . وإن في نصوصه ثقافاً متيناً يقيم متادها ، ويصلح معوجها ، وسلاحاً صلياً يأتي على معظمها ، ويقلبه رأساً على عقب ، ويحفز الأحياء من كتابها إلى إنشائها من جديد ، وتأسيسها على دعائم قوية من الأفكار والآراء التي اشتمل عليها الكتاب ، ولم يظهروا عليها إلا في هذه الطبعة الكاملة التي بذلت وسعى في نشرها ، وعاقى مقامى في الكويت عن تصحيح ملازمها في أثناء طبعها .

• • •

وإني - على نهجي الذي انتهجت منذ أول كتاب نشرت - أدعو النقاد إلى إظهارى على أوهامى فيها ، وتبيين ما دق عن فهمى من معانيها ، أو ندد عن نظرى من مبانيها ؛ وفاء بحق العلم عليهم ، وأداء لحق النصيحة فيه ، لأبلغ بالكتاب فيما يستأنف من الزمان ، أمثل ما أستطيع من الصحة والإتقان .

والنشر فن خفى المسالك ، عظيم المزالق ، جم المصاعب ، كثير المضايق ؛ وشواغل الفكر فيه متواترة ، ومتاعب البال وافرة ، ومبهضات العقل غامرة ، وجهود الفرد في مضماره قاصرة ؛ يؤودها حفظ الصواب في سائر نصوص الكتاب ، ويعجزها ضبط شوارد الأخطاء ، ورجعها جميعاً إلى أصلها ؛ فيأتي الناقد وهو موفور الجحام فيقصد قصدها ، ويسهل عليه قصصها .

ومن أجل ذلك قلت - وما أزال أقول - : إنه يجب على كل قارئ للكتب
القديمة أن يعاون ناشرها بذكر ما يراه فيها من أخطاء ؛ لتخلص من شوائب
التحريف والتصحيف الذي منيت به ، وتخرج للناس صحيحة كاملة . والله
ولي التوفيق .

السيد أحمد صقر

الكويت في } ٢٧ من ذي الحجة ١٣٧٩ هـ
٢٢ من يونيو ١٩٦٠ م